٢- أحمد شوقي
١٨٦٩ - ١٩٣٢

من الملاحظ أن أحمد شوقي يجاري البارودي في وضوح شخصيته بشعره، وهو يجسدها خير تجسيد قد يفوق فيه أستاذه، إذ إن الظروف والأحداث قد انعكست في شعره. ولعل ذلك يعود إلى سببين هما:

١- شهد عصر شوقي كثيراً من التحولات والثورات، وقد صور الشاعر تلك الأحداث.

٢- ما يتعلق بشخصية شوقي وطبيعة نفسه واتجاهات ثقافته، فقد كان شديد الإحساس وكثير الآمال وعميق التطلع فضلاً عن ذكائه الحاد وموهبته الكبيرة. وقد ساعده أيضاً على ذلك نشأته وحياته في قصور حكام مصر، التي هيأت له ما كان يصبو إليه.

رحلة حياة شوقي وروافد ثقافته:-

أولاً: في القصر:

ولد أحمد شوقي في قصر لخديوي إسماعيل، حيث الجاه والغنى وبعيداً عما كابده كثيرون غيره، كالرصافي وحافظ، وفي هذه البيئة يرتبط الشاعر بالأمراء.

وقد التحق بالمدرسة في سن مبكرة بعد أن ضاق بالكتاب الذي كانت تعنى بالدراسة الدينية، ثم التحق بمدرسة الحقوق مع أبناء الطبقة العليا من المجتمع، وأنهى دراسته فيها بقسم الترجمة ليتقن اللغة الفرنسية لتضاف إلى العربية والتركية.

وفي هذه المرحلة تفتحت شاعريته، وقد انصبت في مدائح صاغها لولي نعمته الخديوي توفيق الذي عينه موظفاً في القصر، مما أتاح له أن يكمل دراسته في فرنسا وعاد إلى مصر بعد أربع سنوات قضاها بفرنسا.

وقد غذت دراسته في فرنسا ملكاته الفطرية، فهي قد ملأت عينيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بمفاتنها المختلفة ، وزودته بالثقافة من خلال الاطلاعه على العديد من الفنون والآداب . ولاسيما المسرح والشعر على لسان الحيوان . وكان قد قرأ للافونتين وقصد دار الأوبرا وشاهد المسرحيات . مما شجعه على المحاكاة .

وحين عاد إلى مصر وجد عباس قد خلف والده توفيقاً بعد موته ، فالتحق بعباس وكان له مدائحه ، وصار يدافع عنه ويخاصم خصومه مثل رئيس الوزراء (رياض) الذي هجاه ببعض القصائد ، كما هجا اللورد كرومر الحاكم البريطاني على مصر . ولم يكتف بذلك بل هاجم الزعيم (أحمد عرابي) حين عاد من منفاه فاستقبله بهجائه الذي يقول فيه :-

صغار في الذهاب وفي الإياب أهذا كلّ شأنك يا عرابي .

ولذلك فهو الممثل للخديوي الذي يدافع عنه في كل شاردة أو واردة وهنا فقد صار شعره تجسيداً لسياسة القصر وحياة الخديوي ومن حوله . يصور حياتهم وما فيها من عبث ولهو ، وما تموج فيها من صور الرقص والغناء . وما يحاك فيها دسائس ومؤامرات على الشعب ومصالحه .

أما حياته فهو فيها لا تخلو من ما كان يعاني أسياده ، وقد لجأ في هذه الرحلة إلى وصف الخمرة ، التي عبر عنها بالقول :

رمضان ولّى هاتها يا ساقي مشتاقة تسعى إلى مشتاق

ويصف الخمرة فيقول :

صفت كأسها الحباب فهي فضة وذهب .

ولا يكتفي بذلك ، وإنما راح يعبر عن لذة وصاله فيقول :-

لذة العشق في اختلاف المذاق ذقت منها حلواً ومراً وكانت

حملني ما شئت في الحب إلاّ حادث الصد أو بلاء الفراق .

ومن جهة أخرى فقد كتب معظم مدائحه النبوية ، ودافع عن حوض الخلافة

الإسلامية. ومن ذلك همزيته الشهيرة في الرسول محمد (ص) التي عارض بها البوصيري، يقول:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

وعارض صاحب البردة بقوله:

أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم رميٌ بسهم أصاب القلب من أمم

وقد عوّض في هذه القصائد القطيعة مع الشعب، إذ كانت مدائحه النبوية وقصائده الإسلامية تصل بينه وبين الشعب الذي كان يتلقى تلك القصائد بالغبطة والرضا، لما تمثله من عواطف دينية كان الناس يحرصون عليها آنذاك.

فضلاً عن قصائده المستوحاة من التاريخ المصري القديم؛ التي كانت تقوي علاقته بالشعب، ولاسيما بعد استشعار المصريين لخطرهم القديمة واحتلالهم بمبادئ الحرية، منذ أن غادرت حملة نابليون أرضهم. وهكذا فعظم قصائده (النيل) و (توت عنخ آمون) والقصائد التي مدح بها الرسول محمد (ص) التي يتوافر فيها الصدق الشعوري.

٢- في المنفى: ١٩١٥ - ١٩١٩:-

ظل شوقي وفياً لإسماعيل وآله من بعده، إلى أن عزل الإنكليز عباساً، وأحلوا مكانه (حسين كامل)، فأطاحوا بمن حوله، ولهذا كان شوقي من أوائل الذين شملتهم الإطاحة، فاختار الأندلس مكاناً لنفيه.

وهذا ما فتح أمامه مجالاً خصباً يختلف عن القصر ومدائحه وما يتعلق به، وفتح لشعره باباً جديداً لموضوعاته وفنياتها. فقد تحول إلى التاريخ الإسلامي، يستلهمه ويستنبط منه المعاني عموضوعاته، مما منح قصائده عمقاً وصدقاً، يستلهمه ويستنبط منه المعاني والأفكار ويصور فيه عظمة العرب والمسلمين وما كان لهم من أمجاد وآثار. فضلاً عن انتقامه الحزينة التي وضعها في قصائد الحنين والغربة، أو تلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القصائد التي يصور فيها ربوع الأندلس وتُحيي آثارها ويمجد غفلة الماضين. وراح يستلهم قصائد ابن زيدون والبحتري وغيرهما ليغذي قصائده. مما مهّد لعودته إلى أحضان الشعب وتحسسه لشاكلام وقد نظم في الأندلس مطولته (دول العرب وعظماء الإسلام) وهي أرجوزة تعليمية، أرّخ فيها تاريخ العرب حتى نهاية العصر الفاطمي، كما كتب فيها مسرحيته الشعرية الوحيدة (أميرة الأندلس).

٣- ما بعد المنفى ١٩١٩ - ١٩٣٢:-

عندما عاد شوقي من المنفى فقد عاد إلى حريته التي فقدها في قصر توفيق وعباس. ولعل أول قصيدة قالها بعد عودته وهي (بعد المنفى) تنبئ عن ذلك، إذ أعلن فيها حبه لمصر ومشاعره العميقة إزاءها:-

وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني إليه في الخلد نفسي
وإذا فهت بالسلام تحيا ... فإذا رزقت الشهادة وليتا
أدير الملك قبل البيت وطني ... وكل مسافر سيؤوب يوما

وفيها يتحدث عن هموم الشعب وما يواجهه من مشاكل التموين وجشع التجار. وهذا تحول كبير وظهر في تجربته. وتتوالى قصائده في مناسبات عديدة (سياسية واجتماعية وتربوية وخلقية) لتصبح أشبه بقصائد المناسبات التي تغص بالتقريرية والمباشرة بعيداً عن العمق الفني. لكن يشفع لها أنها تتصل بحاجة الأمة وتلبي آمال الجماهير. وهو في هذا يشترك مع كثير من الشعراء أمثال: حافظ إبراهيم والرصافي والزهاوي والجواهري وغيرهم ممن يستمدون موضوعاتهم من الجماهير وحاجاتهم. وراح يؤلف الأناشيد الوطنية التي تحمس الشباب وتسابق الصف على نشرها

ولم تقف جهوده عند التعبير عن حاجات الشعب المصري وإنما تجاوزتها إلى الأقطار العربية الأخرى. فصار يغني لها أناشيد النصر، وأغاني الحماسة فتفرح

لفرحها وحزنه لحزنها. فحين ضُربت دمشق بمدافع الفرنسيين قال:

قم ناج جلق وأنشد رسم من بانوا ... مشت على الرسم أحداث وأزمان

وهو واضح الاتجاه والأبعاد، دقيق النظر فيما يجري في أمته حولها، لذلك نجد شعره يعبر عن طموحات وآمال أبناء الشعب ويجسد أحلامهم في الوحدة والنضال يقول:

ونحن في الشرق والفصحى لنو رهم = ونحن في الجرح والآلام إخوان

بنو سورية اطرحوا الأهاني = وألقوا عنكم الأحلام ألقوا

نصحت ونحن مختلفون داراً = ولكن كلنا في الرأي شرق

ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ = بيان غير مختلف ونطق

وللأوطان في دم كل حر = يدٌ سلفت ودين مستحق.

فهنا نلمس صدقاً في الشعور وفي التجربة. وهكذا هي معظم قصائده في العروبة. ولكنه لم يقف عند هذه القضايا فحسب وإنما راح يدقق النظر في طبيعة الأرض العربية، ويكشف ما فيها من حيوية وحياة. ومن ذلك نرى ما وجد في طبيعة لبنان من سحر وجمال، فظل يزوره ويقيم فيه فترات يقلد خطوط الطبيعة اللبنانية وألوانها، ويكشف عن رياضها وغدرانها وسهولها وجبالها وحقولها وسهولها.

فعلى الرغم من أنه كان مسبوقاً من حافظ والرصافي وأحمد محرم فعلى الرغم من أنه كان مسبوقاً من حافظ والرصافي وأحمد محرم بمثل هذه القصائد إلا أنه حقق فيها ما لم يحققوه فنياً. ولذلك أقبل على هذه القصائد، مما فتح باباً في القصيدة الحديثة، وهو الملحون والمغنون على قصائده، وذلك بفضل ما تمتلكه قصائده من قدرة موسيقية لا بأس الغناء. مما يعني أن شخصيته قد فنيت في أمته تتوافر عند شعراء جيله. ولذلك وصفه الدكتور شوقي ضيف بأنه شاعر غيري أي أنه ينظم لغيره وليس لنفسه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي مرحلة ما بعد المنفى تفرغ شوقي الى كتابة مسرحياته الشعرية، ونظم على لسان الحيوان، مما أضاف رافداً جديداً إلى شعرنا العربي الحديث وقد استقى هذا الرافد من اطلاعه على الثقافة الأوربية ولا سيما قراءته للافونتين ودي موسيه وكورنيه ولامرتين. إذ تأثر بلافونتين في نظمه الشعر على لسان الحيوان، وأعجب بشعر لامرتين في الطبيعة وترجم له قصيدة (البحيرة) الشهيرة، لكن أشد تأثره كان بفكتور هيجو، زعيم الرومانسيين، الذي تأثر به في شعر الوطني، وفي استلهام التاريخ المصري القديم. أما شكسبير فيتضح تأثره به في مسرحية كليوباترا، ومع ذلك تبقى الثقافة الفرنسية هي المسيطرة على انوازعه وقد أشار طه حسين إلى أنه يتأثر بالثقافة الفرنسية القديمة أكثر من الحديثة. ولذا كانت مسرحياته: مصرع كليوباترا وقمبيز تستلهم التاريخ المصري القديم، ومسرحياته: مجنون ليلى وعنترة وعلي بيك الكبير تستلهم التاريخ العربي والمصري القديم والحديث.

ميادين شعره

مرت حياة شوقي بثلاث مراحل، بدأت بالقصر ثم حياة المنفى وافراً عودته إلى صفوف الشعب. وقد انعكست هذه الظروف على شعره فأثرت في معانيه وموضوعاته ولغته وصنعته الشعرية ولغته فقد وقف في مرحلة القصر على المدائح والشعر التاريخي والوصف والغزل والحكمة. بينما نهج موضوعات جديدة ومعان مبتكرة في مرحلة الغربة وعاد إلى الوطن، وفي استلهام التاريخ العربي والإسلامي في الأندلس والحكمة، وحنين إلى المنفى لم يعد في حاجة إلى المدائح والغزل والحكمة، وهيمن عاد مع المنفى لم يعد في حاجة إلى المدائح والغزل والحكمة، لأنه صار يعبر عن أمل الملايين من المصريين والعرب..

ولعل أهم إنجازات شوقي الشعرية ما يتمثل بشعره التاريخي، الذي نظمه متأثراً بفكتور هيجو، وهو يقول:

وأنا المحتفي بتاريخ مصر من بقي مجد قومه صار عرضا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لتاريخ

وتقف قصيدته (كبار الحوادث في وادي النيل) في طليعة شعر ا
وقد استعرض فيها تاريخ الحضارة المصرية منذ القدم حتى وصل إلى عهد الخديوي
وهي أشبه بالملحمة الوطنية. أما قصيدته الثانية (النيل) فقد اعتمد شاعرنا
على الصور النابضة بالحركات والخطوط والألوان، وهي طويلة بـ (١٤٣) بيتا
يتحدث فيها عن تاريخ مصر الطويل منذ عهد الفراعنة، متحدثا عن بناتهم ا
الإهرامات ويتحدث عن انتصاراتهم وطقوسهم الدينية فيشيد بحضارتهم
العظيمة، مركزا على اسطورة (عروس النيل) التي صارت فداء لنهر
النيل عندما يهيج. يقول:

من أي عهد في القرى تترقرق ... وبأي كف في المدائن تغدق
وعلى الجبال الشم من سلف بدت ... عليا تحار بها العقول وتزهق
وعلى السماء نزلت أم فجرت من ... أعلى الجنان جداول تترقرق

والقصيدة ذات وحدة عضوية متماسكة، يربطها خيط فكري متين. ولعل
أجمل محاورها الذي يركز فيه الشاعر صورة لاحتفال المصريين بفداء النيل، حيث
تتطوع في كل سنة أجمل بنات مصر لهذا الفداء وترمي نفسها فداء لنهرها

وبنية بين الطفولة والصبا ... عذراء تسحرها العقول وتعلق
كان الزفاف إليك غاية حظها ... واحظ إن بلغ النهاية موبق
لاقيت أعراسا ولاقت مأتما ... كالشيخ ينعم بالفتاة وترهق
في كل عام درة تلقى بلا ... ثمن إليك وحرة لا تصدق
إن رجولك بين فخي عقيدة ... ومن العقائد ما يلب ويحمق
زفت إلى ملك الملوك بحتها ... دين ويدفعها هوى وتشوق

والقصيدة تظهر معرفة شوقي بتاريخ أمته معرفة دقيقة ويتبدى
ذلك من خلال تعرضه لتابوت موسى وقصة يوسف وإخوته ومريم
وعيسى ونزول الإسلام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما في مرحلة النفي فقد تغير موضوع القصيدة عند شوقي إلى حد بعيد، حيث صار يقف مع نفسه وقفات طويلة تارة ومن هنا ظهر شخصيته ظهوراً ملحوظاً، بعد أن كانت غائبة في شعر المديح.

ولذلك صرنا أمام موضوعات جديدة تقوم أغلبها على شعر المعارضات. ومن معارضاته الهامة ما عارض به البحتري في سينية الشكوى: هنئت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل بخيل

قال شوقي:-

أذكرني الصبا وأيام أنسي أضلاف النجار والليل ينسي
أو أساجره الزمان بأوسي أو أساجره القلب عنها
وعارض نونية ابن زيدون (يا ناعي الحلم) فقال:

عيد من الخلد بالكافور تسقينا لكك مصر وإن أغضت على مقة
وصول حافاتها قامت رواقينا على جوانبها رفت عمائمنا
عن الدلال عليكم في أمانينا نابٍ الحنين إليكم في مواطننا

وبعد أن نظم في مصر وتاريخها تحول إلى الأندلس فكتب مطولته. (دول العرب وعظماء الإسلام). ومن ثم كتب حوصيته الشهيرة (أميرة الأندلس) وقد كان لجوء الشاعر إلى المعارضات والتاريخ بمثابة الاستجابة لما يعتمل في نفس الشاعر، الصورة بالغربة وحنينه إلى أرض الوطن واستجابة للعصر التاريخي الذي فرض نفسه على الشاعر في بيئته الجديدة. إذ كانت معارضته لسينية البحتري، فقد أثار الحضارة الأندلسية وما تراه في أشبيلية وغرناطة وقرطبة إعجابه فطبع قصر الحمراء في الأندلس في نفسه ما طبعه إيوان كسرى في نفس البحتري.

وعلى الرغم من وجوه الشبه الكبيرة بين قصيدة شوقي وقصيدة البحتري تبقى شخصية شوقي واضحة مما انتهى به إلى الأصالة الفنية في الصورة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذ يتضح حب الوطني وحبه لوطنه يقول:

وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني إليه في الخلد نفسي
شخصه ساعة ولم يخل حسي ... كيد الله لم يغب عن جفوني

وبعد عودته من المنفى يعود إلى الشعب. فينظم أناشيد تحبب مصر والتغني بها والإشادة بعظمتها في ماضيها وحاضرها ومن ثم تقوم في الأقطار العربية التي كانت تعاني من ويلات الاستعمار. فدعا إلى وحدة العرب في كثير من قصائده..

كان شعري في درج الشرق ... وكان الغزاة في أوطانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح ... وأن نلتقي على أشجانه
كلما أنّ بالعراق جريح ... لمس الشرق جنبه في عمانه

وعندما ضربت دمشق بدافع الفرنسيين قال:

لولا دمشق ما كانت طليطلة ... ولا زهت ببني العباس بغدان

وقد استغل الشاعر المناسبة في الدعوة إلى الوحدة والجهاد والصمود ولذلك تحولت مدائحه التي كان يطلقها للخديويين إلى مراثٍ يعزي بها الشعب والوطن. ومنها مرثيته لسعد زغلول التي صاغ نشيداً للبكاء على كل لسان في الوطن العربي، يقول فيها:

* شيعوا الشمس ومالوا بضحاها ... وانحنى الشرق عليها فبكاها

ولم يكتف برثاء رجالات الوطنية كسعد زغلول ومصطفى كامل وغيرهما، بل رثا الشعراء والعلماء والأدباء والمفكرين والصحفيين أمثال جبران خليل جبران وحافظ إبراهيم وسلامة حجازي.

وقد تعرض شوقي للمرأة ومشكلاتها في السفور والحجاب، وقد دعا إلى حرية المرأة وإلى إسهامها مع الرجل في الحياة العامة. وله في ذلك قصيدة (السفور والحجاب) التي يصف فيها ذل المرأة وعبوديتها وهوانها في ظل الأسرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم ينسَ الجمال ومكانتهم وإسهامهم في بناء الوطن. وتعرض إلى المخترعات الجديدة والحديثة.

وإجمالاً فإن شوقياً قد تبوأ هذه المكانة المميزة بفضل عوامل كثيرة، ومنها ثقافته العربية الواسعة وثقافته الفرنسية العميقة وملكته الفطرية التي أعانته على ذلك، فضلاً عن ذكائه الحاد.

وقد أفاد من سابقه البارودي في عدم المبالغة بالوان البديع وعدم تمسكه بالزخرفة وحب التراكيب وهو ما حقق له جزالة العبارة ومتانة الأسلوب. وقد تأثر في هذا أيضاً بالشعراء العباسيين أمثال المتنبي والبحتري على نحو خاص.

ولشوقي قدرة تصويرية بارعة تضاف الى قدرته الموسيقية ما إذ إن خياله المتألق ساعده على خلق هذه الصور الجميلة وجعل الدكتور شوقي ضيف يصاحب متحف للصور المتحركة التي تفد من كل جانب. ويغري ذلك إلى ملكته الخيالية وموهبته الشخصية التي أحكمت سيطرتها على فنه في التصوير. وأبعده في ذلك دقة ملاحظته التي يستطيع من خلالها كشف أدق الأشياء. وقصيدته التي وصف بها قصر (أنس الوجود) خير معبر عن ذلك. فقد وصف هذا القصر عندما كان شامخاً وكيف آل إلى زوال، وهو في ذلك يحاول أن يبتعد عن الحسية التي يتردى فيها أغلب الأدب الكلاسيكي، محققاً تأثراً نفسياً في الملكة التي يتردى فيها أغلب الأدب الكلاسيكي، محققاً تأثراً نفسياً في الملكة ونتيجة لكل ذلك فقد كان في مقدمة الشعراء العرب ووضع في مصاف الشعراء المقتدرين والرواد الذين قادوا قافلة الشعر نحو التطور.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner